



لقد تميز أدب الخوارج بخلو العاطفة، وتمثل بالقوة والاستماثة بطلب ما يعتقدونه صحيحاً، وكان في أدبهم غضب لما يؤمنون به.

وكان الخوارج لا يعرفون الغزل أو الهزل في أدبهم، وخلا شعرهم من الخمر والمجون. وغلبت البداؤة على ثقافة الخوارج، والفصاحة والبلاغة، وحمل أدبه عمق التعبير.

لقد تأثر شعراً الخوارج بالقرآن وعم حياتهم كلها، حتى أن معظم التسميات التي أطلقت على الخوارج استمدت من القرآن، فقد كان من أشهر أسمائهم (الشراة) وقد اتخذوه من الآية الكريمة: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله).

وظهر تأثرهم بالقرآن في مواطن كثيرة، في الإخاء والتسامح والمساواة والعدل، وإطاعة أوامر الله، واجتناب نواهيه، وعدم التكالب على الدنيا الفانية، والعمل المتواصل من أجل الدار الآخرة، دار الخلود.

ومن شعرهم في الأخوة والمساواة قول شاعرهم عمران بن حطان:

فحن بنو الإسلام والله واحد *** وأولى عباد الله بالله من شكر

وهذا نهار بن توسيعة اليشكري يقول في هذا المعنى:

دعى القوم ينصر مدعيه *** ليلحقه بذى الحسب الصميم

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخرنا بقيس أو تميم

لقد حارب الخوارج في كثير من المواقع، وانتصروا على الرغم من قلة عددهم في معارك عديدة، منها معركة آسك بقيادة أبي بلال مرداس بن أدية التي انتصروا فيها على جيش قوامه ألفان وهم لا يتجاوزون الأربعين، وهذا الانتصار يوحى لشعرائهم ذكرى انتصار المسلمين في بدر وهم قلة مستضعفة، فيقول شاعرهم عيسى بن عاتك الحطبي:

ألفاً مؤمن فيما زعمتم *** ويهزمهم بآسك أربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم *** ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك *** على الفئة الكثيرة ينصرورنا

هذه الصورة التي تبين تأثر الخوارج بالقرآن الكريم، ونراها واضحة إلى حد بعيد في أشعارهم هي صورة إيمان الخوارج التي انتزاعوها من وصف الله لعباده المؤمنين وأضفواها عليهم في كل حالاتهم، فنجدتها في صلاتهم وقيامهم، في ذكرهم وتسبيحهم في ليتهم ونهاره، وخير ما يدل على ذلك قول الطرماح:

لله در الشراة إنهم *** إذا الكري مال بالطلا أرقوا

يرجعون الحنين آونة *** وإن علا ساعة بهم شهقوا

خوفاً تبيت القلوب واجفة *** تcad عنها الصدور تنافق

كما تتكرر هذه الصورة عند الكثير من شعراء الخوارج، فقيس بن الأصم الضبي يرثي الخوارج الذين قتلوا عند الجوسق، فيقول:

إنـي أـدـيـنـ بـمـاـ دـاـنـ الشـرـاـةـ بـهـ *** يـوـمـ الـخـيـلـةـ عـنـدـ الـجـوـسـقـ الـخـرـبـ

الـتـافـرـيـنـ عـلـىـ مـنـهـاـجـ أـوـلـهـ *** مـنـ الـخـارـجـ قـبـلـ الشـكـ وـالـرـيـبـ

قـوـمـ إـذـاـ ذـكـرـوـاـ بـالـلـهـ أـوـ ذـكـرـوـاـ *** خـرـواـ مـنـ الـخـوـفـ لـلـأـذـقـانـ وـالـرـكـبـ

أما أكمل وصف فنجد في قول عمرو بن الحصين يرثي أبا حمة وغيره من الشراة في قصيدة طويلة نختار منها قوله:

إـلـاـ تـسـبـيـحـهـمـ فـإـنـهـمـ *** رـجـفـ الـقـلـوـبـ بـحـضـرـةـ الذـكـرـ

مـتـأـوهـونـ كـأـنـ جـمـرـ غـضـاـ *** لـلـمـوـتـ بـيـنـ ضـلـوـعـهـمـ يـسـرـيـ

لقد أهمل الخوارج الدنيا وما فيها من عاجل لا يدوم إلى أجل دائم، فكثيراً ما نجدهم يهاجمون أعداءهم الذين يحاربون من أجل أعراض زائلة، فهذه ليلي بنت طريف الشيباني ترثي أخاه الوليد، فتصفه بالتقوى والصلاح قائلة:

أـيـاـ شـجـرـ الـخـابـورـ مـالـكـ مـورـقاـ *** كـأـنـكـ لـمـ تـحـزـنـ عـلـىـ اـبـنـ طـرـيفـ

فـتـىـ لـاـ يـحـبـ الزـادـ إـلـاـ مـنـ التـقـىـ *** وـلـاـ مـالـ إـلـاـ مـنـ قـنـاـ وـسـيـوـفـ

لقد وضع شاعرهم الطرماح الآيات القرآنية أمامه، ثم صاغ معانيها شعراً بدليعاً فيه من الاغترار بالدنيا في ثوب وعظي جميل وشاه بن صالحه وتنبيهاته فيقول:

عـجـباـ مـاـ عـجـبـتـ لـلـجـامـعـ الـمـاـ *** لـيـبـاهـيـ بـهـ وـيـرـتـفـدـهـ

وـيـضـيـعـ الـذـيـ يـصـيـرـهـ اللـهـ *** إـلـيـهـ فـلـيـسـ يـعـقـدـهـ

يـوـمـ لـاـ يـنـفـعـ الـمـخـولـ ذـاـ ثـرـ *** وـةـ خـلـانـهـ وـلـاـ وـلـدـهـ

يـوـمـ يـؤـتـيـ بـهـ وـخـصـمـاـهـ وـسـطـ الـ *** جـنـ وـإـلـاـسـ رـجـلـهـ وـيـدـهـ

خـاطـصـ الـطـرـفـ لـيـسـ يـنـفـعـهـ *** أـمـانـيـهـ وـلـاـ لـدـدـهـ

قل لباكي الأموات لا يبك لنا *** س ولا يتنع به فنده

إنما الناس مثل نابتة الزرع *** متى يأتي مختصده

لم يتوقف تأثر شعراء الخوارج بالقرآن عند هذا الحد بل تعداه إلى توجيهه للإنسان في حياته، فإن أيامه في هذه الدنيا محدودة، ومصيره سيتحدد عند الحساب، فهذا شاعرهم عمرو بن الحسن الإباشي يصف الخوارج قائلاً:

متراحمين ذوو يسارهم *** يتعطفون على ذوي الفقر

وذوو خصاصتهم كأنهم *** من صدق عفتهم ذوو وفر

متجملين بطيب خيمتهم *** لا يهلعون لنبوة الدهر

رابطة العلماء السوريين

المصادر: